جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

وسائل الدعوة الإسلامية
فى ضوء القرآن والسنة

د/أحمد عبد الهادى شاهين
أستاذ الدعوة والأديان المساعد
فى كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد...

فإن الدعوة إلى الله تعالى علم وفن، شأنها شأن باقى العلوم والفنون التى تحتاج إلى دراسة وتعليم، وفهم واستيعاب، وممارسة وتطبيق.

ووسائل الدعوة إلى الله تعالى من أهم المسالك إلى تحتاج إلى وعى وبصيرة، لأن شرف الوسائل من شرف الغاية والوجهة. قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾(١).

فلا يكفى لممارسة الدعوة معرفة الإسلام، وأركانه وقواعده، وأصوله وفروعه وسننه، وإنما لابدّ من معرفة أفضل الطرق للتبليغ، وأحسنها فى التأثير، وأسماها فى الإرشاد، وأعلاها فى التوجيه.

والأصل الذى ننطلق منه، فى معرفة الوسائل إنما هو القرآن الكريم والسنة النبوية، وتاريخ الأنبياء والمرسلين، وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم وعمل الصحابة والسلف الصالح، الذين هم خير القرون على الإطلاق، ومحارب الدعاة الصادقين.

---

(١) سورة النحل الآية (١٢٥).

قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليستفيد من سبقه من إخوانه المرسلين في تبليغ الدعوة: (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين)(١).

ففي قصص الأنبياء والمرسلين عظة وعبرة، وهداية ونور، لمن أراد أن يسلك طريق الدعوة على هدى وبصيرة قال تعالى: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)(٢).

وقال تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)(٣).

وكفى أن القرآن الكريم وصفهم بأنهم أهل الهداية والاقتداء، فكل ما يصدر عنهم من ممارسة في سبيل تبليغ الدعوة إنما هو موضع قدوة لمن يأتي بعدهم من أصحاب الألباب والعقول، الذين ينشدون الدعوة والإرشاد، والتوجيه والإصلاح، قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدع إلى الله على بصير أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)(٤).

ووسائل الدعوة كثيرة ومتنوعة، قديمة وحديثة،فردية وجماعية، حاولت أن أقف مع أبرزها وأهمها من وجهة نظري بالبحث والدراسة، لاستفيد منها أولاً، ويستفيد منها كل من يرغب في تبليغ الدعوة إلى الله -تعالى- مقتفياً أثر النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الكرام-رضي الله عنهم أجمعين-.

فأسأل الله تعالى التيسير والتوفيق في الدنيا والآخرة، إنه نعم المولى ونعم النصير.

*****

(١) سورة هود الآية (١٢٠).
(٢) سورة الأنعام الآية (٩٠).
(٣) سورة يوسف الآية (١١١).
(٤) سورة يوسف الآية (١٠٨).

تعريف الوسيلة:

الوسيلة مجرد أداة توصيل، فيها معنى التقرب بالشيء، والرغبة إلى الآخر من خلالها، وهي ليست غاية في ذاتها، كما أنها تستمد شرفها ومكانتها من شرف الغاية التي تستخدم فيها.

جاء في معاجم اللغة: (الوسيلة ما يتقرب به إلى الشيء، والجمع وسائل ووسل، يقال توسل إليه بوسيلة: إذا تقرب إليه بعمل، ووسل فلان إلى الله بالعمل: أي رغب وتقرب)(١).

وفي تفسير القرطبي عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة... ﴾ الآية... قال -رحمه الله-: (الوسيلة: القربة التي ينبغي أن يُطلَب بها) (٢).

وقال النسفي في تفسيره عند بيان نفس الآية (هي كل ما يتوسل به أي يُتَقَرَّبُ من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله -تعالى- من فعل الطاعات وترك السيئات) (٣).

وقال ابن كثير: (الوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود) (٤).

فالوسيلة إذاً في الإطلاق اللغوي شئ حسي أو معنوي يُتَقَرَّبُ به إلى مقصود ما، ويُطلَبُ به، ويتوصل به إليه، فشأنه أن يكون محققاً لمقصود الطالب، ومقرّباً للمطلوب، محبوباً لديه خاصة إذا كان هذا المطلوب ذاتاً.

---

(١) المصباح المنير/ للفيومي صـ ٣٩٢. ومختار الصحاح/ للرازي صـ٣٥١ ط/ مؤسسة الكتب الثقافية بيروت. والمعجم الوسيط/ لمجمع اللغة العربية صـ١٠٧٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن/ للإمام القرطبي ١٥٩/٦.

(٣) تفسير النسفي/ للإمام النسفي ٤٠٨/١.

(٤) تفسير القرآن العظيم/ للإمام ابن كثير٥٤/٢.

التعريف الاصطلاحي:

يتبين من دراسة المعنى اللغوى للوسيلة تعريفها فى الاصطلاح وهى: ما يَتَوَصَّلُ به الداعى إلى تبليغ الدعوة وبيانها بطريقة فاعلة مؤثرة.

والدعوة إلى الله لها وسائل عديدة، منها القديم المعهود، ومنها المتجدد غير المعهود، وكلاهما حسى ومعنوى، قولى وعملى، مباشر وغير مباشر. ولما كانت الدعوات على اختلاف مصادرها وطبيعتها ومراميها تحتاج إلى وسائل فإن للدعوة الإسلامية وسائلها المختلفة، وفيما يلى بيان ما تيسر من هذه الوسائل.

*****

يقسم علماء الدعوة وسائلها إلى أقسام عدة، يمكن حصرها فى نوعين:

١- الوسائل القولية البيانية.
٢- الوسائل العملية الحسية.

وسأفصل القول فى هذين النوعين على النحو التالى فى مطلبين:

المطلب الأول - الوسائل القولية البيانية:

ويقصد بها أنواع وفنون قولية يستعملها الداعى فى تبليغ دعوته وتحقيق مقصوده، وأذكر من هذه الوسائل البيانية ما يلى:

١- الخطبة:
٢- الدرس:
٣- المحاضرة:
٤- المناظرة:
٥- الحوار:
٦- الدعوة الفردية:

أولاً- الخطبة:

وهى من أشهر فنون القول، ومن أكثر الوسائل الدعوية استعمالاً وتأثيراً، وبها تتبين حقائق إسلامية عديدة.

والخطابة فى أبسط التعاريف هى: (فن مخاطبة الجماهير بطريقة إقناعية تشتمل على الإقناع والاستمالة) (١).

وهى بهذا تحتوى على مخاطبة جمهور لا فرد ولا فردين، وتحتوى كذلك على صوت جهورى مسموع وما يصحب ذلك من مكملات ومؤثرات تستميل المستمعين، وشرط ذلك الإقناع بقوة الحجة، وصحة الفكرة، ونصاعة البرهان، والاستيفاء الشامل، بحيث يجد المستمع نفسه مضطراً للاقتناع والتحول إلى التنفيذ.

واستيفاء الحديث حول الخطابة كوسيلة مؤثرة من وسائل الدعوة العامة محله كتب فن الخطابة، لكننى فى هذا المقام أؤكد على بعض النقاط الرئيسة وهى:

١-ضرورة سعى الخطيب لامتلاك مواصفات تجاحه فى هذه الوسيلة، وذلك بالعلم، وسعة الاطلاع، فعالم اليوم يتطلب الخطيب الموسوعى، اما المقل فلا يسمعه أحد، فالقوى فى هذا الجانب محل اعتبار وتأثير، يضاف إلى العلم محاولة الالتزام الجاد بأحكام الدين لتحقيق معنى الرمز الإسلامى المؤثر الذى يلتف الناس حوله، ويقتدون به، مع الجرأة فى غير تهور، والإخلاص، وسداد الرأى، وصحة الفكر.

---

(١) الخطابة وإعداد الخطيب د/ عبد الجليل شلبى صـ١١ ط/الخامسة ١٤١٢هـ- ١٩٩١م ط/ القاهرة.

٢-ضرورة أن يفعل الخطيب دوره الاجتماعى، وتحسين صلته بجمهوره، ومعايشة قضاياه؛ ليرى الواقع عن قرب فينجح فى وصف الدواء الناجح له.

٣-التركيز على القضايا الكبرى العقدية والأخلاقية والعبادية، مع التركيز الشديد على القيم التى ذابت وتنوب بسبب الغزو الثقافى والعسكرى وغيره للأمة، كقيمة الانضباط واحترام الوقت، وقيمة العمل والإنتاج، وقيمة النظافة والجمال، وقيمة العلم بشقيه الدينى والدنيوى، وقيمة المحافظة على الذاتية، والاعتزاز بالهوية الإسلامية.

٤-التجديد والابتكار فى الأسلوب والأفكار والعبارات، وطرح القضايا، مع المحافظة على الأصالة الفكرية بالتركيز على المنابع الأساسية، كالقرآن والسنة والسيرة والتاريخ الإسلامى.

٥-اعتبار أن الخطبة أول الطريق، وعلى الخطيب أن يحصد غرسه، ويجنى ثمار عمله من المقبلين عليه المتأثرين به، فيتعهد هؤلاء بالرعاية، ويتدرج معهم حتى يصقلوا ويصبحوا عناصر جيدة نافعة داخل جسم الأمة.

٦-حسن استغلال المناسبات الإسلامية المختلفة من أيام الله؛ لربط الناس بملامح تاريخهم، وتفعيل معانى الإيمان المبثوثة فى أحداث هذه المناسبات كلما حان أجلها.

والخطابة فى هذا العصر بعيدة إلى حد كبير عن مقصودها التى شرعت له فى الإسلام، والخطيب إذا كان صاحب رسالة يحملها بين جوانحه فإنه لا يألو جهداً فى إحياء الصورة الصحيحة للخطبة كوسيلة دعوية.

يقول الشيخ محمد الغزالى-رحمه الله- (إن الصلة بين خطب اليوم وحقيقة الدين كالصلة بين "سيف المنبر" وأسلحة القتال فى البر والبحر والجو.

الخطابة فى الإسلام مظهر الحياة المتحركة فيه، الحياة التى تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب، ويثب من فكر إلى فكر، وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل، ومع المكان من قطر إلى قطر، وذاك هو السر فى أن نبى الإسلام كان يخطب كل اسبوع، وكل عيد، ويخطب أو ينيب عنه أميراً يخطب فى وفود الحجيج عند جبل الرحمة.

وتتفجر ينابيع الخطابة الصحيحة من معانى القران وأغراضه.. فإن القرآن هو الكتاب الهادى للأحياء. ذو القدرة الفذة على استثارة أفكارهم، واستجاشة مشاعرهم، والسمو بهم إلى ما يشاء، فلا جرم كانت الخطابة المستمدة منه ،وقود نهضة وضياء امة.

فى كل بضعة أيام يقف رجل واع حصيف ليعرض قبساً من آياته، أو يسير فى هدى هذه الآيات إلى إحدى الغايات التى جلاها القرآن الكريم)(١).

وهكذا فبوسيلة الخطابة تتبين معالم الدين، ويفقه الناس تكاليفهم، ويدفعوا إلى تطبيقها، ولعل هذا من أسرار ان ربط الله الخطبة بالصلاة، وجعلها لازمة وشعيرة مع مناسبات مختلفة، فهى مع صلاة الجمعة، وصلاة العيدين، ويوم عرفة، وغير ذلك، وفى كل هذه المناسبات المتكررة يعرض الخطيب الإسلام عرضاً يبين مقاصده، ويجلى تكاليفه.

---

(١) مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة صـ ٣٧١ ط السادسة ١٩٨٥ دار الكتب الإسلامية القاهرة.

ومن أراد الإطلاع على هذه الوسيلة العملية فليقرأ في القرآن الكريم خطب الأنبياء، ثم يقرأ في السنة النبوية خطب النبي ﷺ ومن بعده خطب الخلفاء الراشدين وغيرهم، ثم يبحث عن خطب المتميزين من الدعاة والمصلحين؛ ليعرف كيف كانت ملامح خطبهم، وعناصر التأثير فيها؛ لعله يفيد ويستفيد.

*****

نموذج لخطبة الجمعة

(أسباب استجلاب النصر)

الغرض من الموضوع:

إيقاف المسلم المعاصر على طريق استنزال النصر من الله -عز وجل- ومعرفة سنن الله-سبحانه وتعالى- فى النصر والتمكين.

العناصر:

١. الثقة فى أن النصر بيد الله -سبحانه وتعالى-.

٢. أسباب النصر قبل المعركة.

٣. أسباب النصر أثناء المعركة.

٤. من سنن الله -سبحانه وتعالى- فى النصر.

١- الثقة فى أن النصر بيد الله -سبحانه وتعالى-:

يعتقد المسلم الصادق فى إيمانه أن النصر بيد الله سبحانه وتعالى، وأن الأمور كلها تمش وفق تدبيره ومشيئته، فلا يقع فى كون الله إلا ما أراده الله سبحانه وتعالى.

فحينما ترسخ هذه العقيدة فى قلب المؤمن تكسبه ثقة فيما عند الله -سبحانه وتعالى- فيركن إليه، ويتوكل عليه، ويطلب منه المدد والتوفيق، والنصرة والتمكين قال تعالى:(وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم)(١).

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٢٦).

وقال تعالى: (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون)(١).

وقوله تعالى: (والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) (٢).

فهذه الآيات تبين فى وضوح وجلاء أن الذى يملك إعطاء النصر فى جميع المعارك إنما هو الله -سبحانه وتعالى- فهو يعطيه لأوليائه، نصرة وتمكينا لهم، وقد يؤخره عن المؤمنين ليختبرهم فى إيمانهم وصبرهم، وهذا لون من التربية والتمحيص قال تعالى: (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم)(٣).

وقال تعالى: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)(٤). وقال تعالى: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب)(٥).

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٦٠).
(٢) سورة النساء الآية (٤٥).
(٣) سورة محمد الآية (٤-٦).
(٤) سورة آل عمران الآية (١٤٢).
(٥) سورة البقرة الآية (٢١٤).

ومن أسماء الله الحسنى القوى الناصر فمن ركن إليه -سبحانه وتعالى- فقد أوى إلى ركن شديد، إلى القوة التى لا تقهر، والملك الذى لا يهزم. قال تعالى: (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير)(١).

فثقة الأمة بأن النصر بيد الله -سبحانه وتعالى- يجعلها تقبل عليه، وتتودد إليه، وتلتمس منه النصرة على الأعداء فى ادعيتها وصلواتها، فى يسرها وعسرها، فى رخائها وشدتها، ذلك أن من يعرف الله -تعالى- فى الرخاء عرفه الله فى الشدة.

٢- أسباب النصر قبل المعركة:

هناك عدة أسباب لابد منها قبل المعركة حتى ينزل النصر من الله -سبحانه وتعالى- فهو لا ينزل النصر على قوم ينتسبون إليه، ولا يطيعون أوامره، ولا يقيمون حدوده، ولا يتنزل النصر على أمة تقصى تعاليم القرآن والسنة عن واقع الحياة العامة فى كل شئون حياتها، ولا يتنزل النصر على أمة تخالف هدى النبي ﷺ وتقف من السنة موقف العداء والخصومة، ولا يتنزل النصر على أمة تستورد القوانين البشرية، والفلسفات المادية الأرضية فى تنظيم حياة الناس وشئونهم.

ولا يتنزل النصر على امة تعيش فى بطالة، وأفرادها كسالى يعتمدون على غيرهم، فى طعامهم وشرابهم ومواصلاتهم وأسلحتهم، ولا يعتمدون على كد يمينهم، وعرق جبينهم، وكدح سنينهم.

ولا يتنزل النصر على أمة لا تأخذ بأسباب القوة والعقيدة والإيمان، أو الوحدة و الأخوة، أو الساعد والسلاح.

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٨).

إنما يتنزل النصر إذا توفر شرطان أساسيان هما:

١- أن تكون الأمة كلها على طاعة لله -عز و جل- فتنصر دينه وهدى نبيه في كل شئون حياتها قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)(١).

وقال تعالى: (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)(٢).

فالنصر لا يتنزل إلا على المؤمنين الصادقين الذين تاجروا مع الله -عز وجل- بالغالي والنفيس، قال تعالى: (إن الله اشترى المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)(٣).

وكانت دائما وصية الخلفاء الراشدين إلى جنودهم إن أخوف ما أخاف عليكم ذنوبكم فإذا تساويتم مع الأعداء في المعصية كانت الغلبة للأقوى. ولقد رأينا في معركة العاشر من رمضان حينما عادت الأمة كلها إلى الله، القادة والجند، والأمة من ورائهم في المساجد، وصيحة الله أكبر في الميدان، فلاحت بوادر النصر قبل العصر لأن منزل النصر ومدبره إنما هو الله -عز وجل-.

٢-إعداد القوة على قدر الوسع والطاقة قال تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله و

---

(١) سورة محمد الآية (٧).

(٢) سورة غافر الآية (٥١).

(٣) سورة التوبة الآية (١١١).

عدوكم) (١). فالمطلوب أن نأخذ بجميع الأسباب المتاحة والميسرة فى إعداد القوة المادية من أصغرها مثل الحجر، إلى أعلاها من الوسائل الحديثة المعاصرة.

والإسلام فى جميع معاركه لم يعتمد على العدد أو العتاد، ولا على كثرة الأسلحة والمعدات، وإنما ينظر إلى طاعة المسلمين وأخذهم بالأسباب المتاحة قال تعالى: (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) (٢).

وفى بدر نصر الله الصحابة وهم قلة ثلاثمائة وخمسة عشر رجلا، على الكثرة من المشركين ألف رجل، ونزل القرآن بعدها لينسب النصر إلى صانعه الحقيقى وهو الله-سبحانه وتعالى-: (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون)(٣). (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)(٤).

فيعطى المسلمين درسا فى التواضع، وينسب النصر إلى صاحبه ومنزله ومدبره وهو الله -سبحانه وتعالى-: (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) (٥).

ولما رأى المسلمون كثرة الروم فى غزوة مؤتة قال أحدهم ما أكثر الروم وما أقل المسلمين؟ فرد عليه ابن رواحه قائلا: بل ما أقل الروم وما أكثر المسلمين، إنما ننتصر عليهم بطاعتنا لله، ومعصيتهم له، والله إن الذى تكرهون لهو الذى من أجله خرجتم.

---

(١) سورة الانفال الآية (٦٠).
(٢) سورة البقرة الآية (٢٤٩).
(٣) سورة آل عمران الآية (١٢٣).
(٤) سورة الانفال الآية (١٧).
(٥) سورة الانفال الآية (٧).

وفى حطين نصر الله القائد البطل صلاح الدين الأيوبى وهو يقود كتائب الإيمان والتوحيد فى جيش قوامه (اثنا عشر ألف) على الصليبيين فى جيش قوامه (ستون ألف) وقتل المسلمون من الصليبيين ثلاثين ألفا وأسروا ثلاثين ألفا. والأمثلة كثيرة فى كتب التاريخ والسير والمغازى.

٣- أسباب النصر أثناء المعركة:

كما أن هناك أسبابا للنصر أثناء المعركة لابد من الأخذ بها حتى يكون الجيش محل عناية الله ورعايته، ونصره وتمكينه، وهذه الأسباب يلخصها قوله تعالى:(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) (١). فلا بد من العناصر الخمسة التى فى الآية وهى:

١- الثبات: إذ كيف ينزل النصر على قوم فروا من الميدان، وولو ظهورهم للأعداء والله -عز وجل- يقول عن يوم بدر: (إذ يوحى ربك إلى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)(٢).

٢-الذكر: إذ كيف يتنزل النصر على أمة غافلة، أو معرضة على الطاعة، أو ملطخة بالمعصية.

٣- الطاعة: إذ كيف يتنزل النصر على أمة تبارز الله بالذنوب والمعاصى، وتعلى من شأن الفنانين ولاعبى كرة القدم، وتنزل من شأن العلماء والصالحين.

---

(١) سورة الأنفال الآية (٤٥).

(٢) سورة الأنفال الآية (١٢).

٤- عدم التنازع: إذ كيف يتنزل النصر على أمة متفرقة مختلفة، بأسها بين أبنائها شديد، والله -تعالى- يقول: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (١).

٥- الصبر: إذ كيف يتنزل النصر على أمة لا تتحلى بالصبر والثبات، والله-تعالى-يقول: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)(٢).

فحينما انهزم المسلمون فى احد نزل القرآن ليعطى المسلمين درسا فى أسباب الهزيمة قال تعالى:(أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم)(٣).

وقال تعالى: (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) (٤).

فاعطى القرآن الكريم للمسلمين درسا فى معرفة أسباب الهزيمة حتى لا تتكرر، ويعطيهم درسا فى عدم اليأس والقنوط، فانهزم المسلمون، لكن انتصر الإسلام، حيث إنه لا يزال قائما وباقيا وحيا فى نفوس الصحابة، واستنفر النبى ﷺ من حضر أحدا وهم مثقلون بالجراح، ليلحقوا بالمشركين عند حمراء الأسد، ففروا أمامه، فليست هزيمة المسلمين فى أحد هزيمة الإسلام.

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٣).
(٢) سورة آل عمران الآية (٢٠٠).
(٣) سورة آل عمران الآية (١٦٥).
(٤) سورة آل عمران الآية (١٥٢).

٤- من سنن الله في النصر والتمكين:

إن لله سننا لا تتغير ولا تتبدل في هذا الكون، ومنها سنة الله في النصر والتمكن لأوليائه منها.

أن يكون للحق أنصار يحملونه ويدافعون عنه، ويضحون في سبيله ويسترخصون الحياة، ويطلبون ما عند الله -سبحانه وتعالى- بالغالي والنفيس فالحياة كلها صراع بين الحق والباطل، فإذا تمسك أصحاب الحق بحقهم ودافعوا عنه هينوا أنفسهم لنصر الله -عز وجل- قال تعالى: (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) (١). وقال تعالى: (ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)(٢).

ب- مع اشتداد الأزمة والشدة يكون الفرج القريب قال تعالى: (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين)(٣). وقوله تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير) (٤).

ج- إن النصر لا يتنزل إلا على من يستحقه، قال تعالى: (وإن جندنا لهم الغالبون) (٥).

د- أن النصر الحقيقي حينما تنتصر الفكرة التي يحملها المسلم وإن تعرض في سبيلها للأذى والاضطهاد، فلقد وقع بعض

---

(١) سورة الأنبياء الآية (١٨).
(٢) سورة المائدة الآية (٢٣).
(٣) سورة يوسف الآية (١١٠).
(٤) سورة الحج الآية (٣٩).
(٥) سورة الصافات الآية (١٧٣).

المسلمين شهداء فى مكة مثل ياسر أبو عمار وسمية بنت خياط ،دون أن يرو للإسلام دولة وكتب الله لهم الشهادة، وانتصر الإسلام، وقامت له دولة باقية إلى قيام الساعة إن شاء الله -عز وجل- فالمؤمن بين نصر وتمكين، إن كتب الله له الحياة، وبين دخول الجنة إن نال الشهادة فى سبيل الله، قال تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) (١).

******

(١) سورة الاحزاب الآية (٢٣).

ثانياً - الدروس

الدرس من أهم وسائل تبليغ الدعوة وأشقها في نفس الوقت، على اعتبار أنه فن دقيق، وليس كما يتصور بعض الوعاظ انه أمر يرتجل بيسر دون عناء.

يقول الأستاذ البهي الخولي-رحمه الله-:(إن الدرس أشق من المحاضرة، أو بعبارة أحكم، الدرس أحوج إلى دقة الداعية وحساسيته من المحاضرة... أما المدرس، فالآية تفرض عليه الدقة وطول التأمل، والوقوف عند كل كلمة، بل عند بعض الحروف أحياناً، وفي كل وقفة من هذه إشارات ومعارف وعلوم إلهية تلتمع أنوارها في صدر الباحث، فإذا به ينشرح ويتسع)(١).

والدرس أسهل من المحاضرة والخطبة من وجه، هو يسر التنفيذ، حيث يمكن إلقاؤه بعد أي صلاة في المسجد، على أي عدد، وهذا أمر لا يتوفر في الخطبة أو المحاضرة.

ومن مميزات الدرس وفوائده عدة ثمار يذكرها الأستاذ البهي قائلاً:(إن قلة عدد من يحضر الدرس -عادة- يمكن المدرس من التأثير برقائقه في قلوب مستمعيه، ومن إنشاء صلات روحية، تعارفية علمية بينه وبينهم، فيكونون معه غالباً على ما يريد)(٢).

ولكي ينجح الداعي في هذه الوسيلة فإنه ينبغي عليه أن يراعي هذه التنبيهات الهامة:

---

(١) تذكرة الدعاة للشيخ/ البهي الخولي صـ٣٨٢.

(٢) السابق ٣٨٢.

١- اختيار الوقت المناسب لإلقاء الدرس.

٢- أن يتخولهم بالموعظة حتى لا يملوا، وذلك من هديه ﷺ.

٣- أن يتغلب جانب الوعظ والرقائق.

٤- أن يضمن أسلوبه ومعلوماته شيئاً من الملح والفكاهة، التى تذهب الملل، وتنشط الذهن.

٥- أن يهيئ العقول بسؤال أو ضرب مثل، أو غير ذلك قبل ذكر ما يريد.

٦- أن يترك لمستمعيه فرصة للمناقشة والاستفسار عما يريدون.

٧- لو كانت الدروس سلسلة متواصلة فى موضوع واحد لكان أجدى وأنفع.

*****

نموذج لدرس مسجدى

(أهمية إصلاح النفس)

حرص الإسلام على إعداد المسلم الصحيح الذى إذا وجد وجد معه أسباب النجاح والفلاح، فهو كالغيث أينما وقع نفع، وهو كالشمس إن غربت عن مكان فهى تشرق فى مكان آخر، وتلك ميزة من ميزات هذا الدين العظيم فى صياغة أفراده وإعدادهم ليحيوا حياة طيبة، ويكونوا هداة للبشرية، ويأخذوا بسفينة العالم إلى شاطئ الأمان وإلى بر السلامة.

لقد كان العرب قبل الإسلام رعاة غنم، وأمة مهملة لا قيمة لها ولا وزن فى النظام العالمى القديم، الذى كان يتزعمه الفرس والروم، كانوا فقراء ضعفاء يعيشون على هامش الحياة، وعلى جانب التاريخ، بعيدا عن الأضواء والمنافسة وتسيير الحياة، فلما جاء الإسلام غير هذه الأوضاع كلها ، حولهم من رعاة غنم إلى قادة أمم، ومن أمة فقيرة منسية لا تجد ما تأكله إلى أمة ورثت كنوز كسرى وقيصر، وأصبحت تدين لها نصف الكرة الأرضية بالسمع والطاعة، وغيرت مجرى التاريخ، وأصبحت الخلافة الإسلامية ملئ السمع والبصر، لها من القوة والمهابة والنفوذ والسلطان ماجعل خصومها يدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون.

كل ذلك بفضل أولئك الرجال العظام الذين أعدهم سيد الرجال -صلى الله عليه وسلم- وغير طبائعهم وأصلح نفوسهم، وهذب أخلاقهم، وملأ قلوبهم بالإيمان والتوحيد، والقوة والتضحية، والثقة والثبات، حتى رأو فى حياتهم ما كانوا يتوقعونه للأجيال القادمة بعدهم.

إن إصلاح النفس وإعداد الفرد المسلم هو الطريق الوحيد لصياغة المسلم المعاصر من جديد، فيعود إلى ما كان عليه آباؤه الغر الميامين، إلى أصوله وجزوره فيصبح خلقاً جديداً، له هدف ورسالة، وله آمال وغاية.

ونفس الكريم لها غايتان ورود المنايا ونيل المنى

ولا شك أن إصلاح النفس مدخل إلى كل خير وفلاح، وطريق إلى كل تقدم ونجاح، وهذا يحتاج إلى همة عالية، وإرادة قوية، وصدق فى العزم، وشد للرحال.

لماذا التركيز على إصلاح النفس:

أولاً : لأنه تكليف إلا هى من الله -عز وجل- لكل مسلم ومسلمة حتى يقى نفسه من عذاب النار يوم القيامة، يقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة)(١). وهل تكون وقاية النفس والأهل والأولاد من النار إلا بالإصلاح والتغيير، فالإنسان بين أمرين إما إصلاح وجنة، وإما إهمال ونار، وغضب الجبار.

ثانياً : إن إصلاح النفس هو سبب الفلاح فى الدنيا والآخرة، فقد وضع الله سبحانه وتعالى ميزانا للإنسان إن سار عليه عاش حياة طيبة، وإن خالفه تقلب بين القلق والشقاء، قال تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)(٢).

---

(١) سورة التحريم الآية رقم (٦).

(٢) سورة الشمس الآية (٧-١٠).

وقال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى)(١). وقال تعالى (قد أفلح من تزكى)(٢).

وهل إصلاح النفس إلا لون من التزكية والإرتقاء نحو مرضاة الخالق -سبحانه وتعالى- لأن إصلاح النفس والاسرة سبيل السعادة فى الدنيا، والنجاة فى الآخرة، قال تعالى: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)(٣). وقال تعالى:(والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب رهين)(٤).

ثالثاً : نركز على إصلاح النفس لانه هدف من أهداف البعثة المحمدية، فجعل الله -سبحانه وتعالى- التزكية قبل التعليم، وذلك لاهمية الإصلاح ومنزلته فى مقام التعليم.

قال تعالى: (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون)(٥).

وقال تعالى: (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين)(٦).

---

(١) سورة النازعات الآية (٤١).
(٢) سورة الأعلى الاية (١٤).
(٣) سورة النحل الآية (٩٧).
(٤) سورة الطور الآية (٢١).
(٥) سورة البقرة الآية (١٥١).
(٦) سورة ال عمران الآية (١٦٤).

وقال تعالى: (هو الذى بعث فى الاميين رسولا من منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين (١).

رابعا: نركز على إصلاح النفس لانها أهم خطوة فى إصلاح المجتمع، فالإصلاح لا يأتى من الخارج، وإنما يأتى من داخل الإنسان، من النفس قبل الجسد، ومن الجوهر قبل العرض، ومن المضمون قبل الشكل، فإصلاح المجتمع بإصلاح لبناته، وتغيير المجتمع بتغير أفراده. قال تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)(٢).

إن الله لا يغير ما بقوم من الكرب، حتى يغيروا ما بأنفسهم من الذنوب، فلا يكون التغيير إلا بعد التغيير، فلا تغير للمجتمع إلا بتغير الأفراد، ولا تغيير للأفراد إلا بإصلاح النفس وتزكيتها.

خامساً : نركز على إصلاح النفس لأن إهمالها خسارة لا تعوض، وهو الخسران المبين قال تعالى: (قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين)(٣). وقال تعالى: (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤيه ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه كلا إنها لظى)(٤).

فماذا يستفيد الإنسان إذا ربح أموال العالم كله وخسر نفسه، لقد خسر كل شيئ، وما تنفعه أموال العالم فى شيئ، وذلك هو الخسران المبين.

---

(١) سورة الجمعة الآية (٢).
(٢) سورة الرعد الآية (١١).
(٣) سورة الزمر الآية (١٥).
(٤) سورة المعارج الآيات (١١-١٥).

وتبدأ مقدمات الخسارة بالإهمال، فكلما طال الإهمال، تعذر الإصلاح، وكثرت الخسارة. وصعبت المهمة.

سادساً : نركز على إصلاح النفس لأن بعض الناس يعتنون بالجسد على حساب الروح والنفس، ويهتمون بالمظهر ويتركون الجوهر، يشغلون أنفسهم بمتطلبات الجسد من الطعام والشراب، والملبس والمسكن والمركب ، وقضاء الغريزة والشهوة، ويهملون حظ النفس من الإصلاح، والروح من العبادة.

والإنسان الحقيقي يقاس بنفسه لا بجسده، وبصلاحه وتقواه، لا بشكله ومظهره، وقديما قال أبو الفتح البستوى:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران

أقبل على النفس واستكمال فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

سابعاً : نركز على إصلاح النفس ليهدأ الإنسان من الصراع الداخلي، فلقد خلق الله الخلق على ثلاثة أقسام، قسم ركب فيه العقل وهم الملائكة، وقسم ركب فيهم الشهوة وهم الانعام، وقسم ركب فيهم الاثنين معاً وهم البشر، فالملائكة مفطورون على الطاعة، والمعصية لا تأتى على خاطرهم، والأنعام غير مكلفة لان الله لم يركب فيها العقل.

وبقى الإنسان يعيش فى صراع بين ما يمليه عليه عقله من الطاعة، وبين ما تجره إليه شهوته من المعاصى والذنوب، ويظل الإنسان فى هذا الصراع المستمر من القلق والتوتر ، ولا يشعر بالراحة إلا إذا انتصر بعقله على شهوته، فأصلح نفسه بمنهج الله، فيشعر بالطمأنينة والأمان.

قال تعالى: (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)(١).

ثامنا: نركز على إصلاح النفس لأنها لون من الجهاد، فمن لم يستطع مجاهدة نفسه فكيف يجاهد الأعداء، وجهادها صعب، حيث إنه يحتاج إلى فطام وقمع عن الشهوات، وكلاهما ثقيل على النفس، ويحتاج إلى صبر ومصابرة ، وجهاد واجتهاد .

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

والنفس راغبة إذا رغبتها ... والنفس من شرها فى مرتع وخم

وقال البوصيرى

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم

ولا تطع منهما خصماً ولا حكماً ... فانت تعرف كيد الخصم والحكم

فمخالفة رغبات النفس جهاد كبير لأنه عدو داخلى لا يفطن إليه كثير من الناس وهى عدو جاهل أخطر من العدو العاقل.

ويقول آخر:

يا من يجاهد غازياً أعداء دين ... الله يغزو أن يفوز وينصرا

هلا بدأت النفس غزواً إنها ... أعدى عدو كى تفوز وتظفرا

فإذا أوتيت جهادها وقتلها ... فلقد تعاطيت الجهاد الأكبرا

---

(١) سورة طه الآيتان (١٢٣-١٢٤).

أحوال النفس

إن كل إنسان له نفس واحدة، لكنها تعتريها ثلاثة أحوال، وتتقلب بين عدة مستويات، ما بين علو وهبوط، وارتفاع وانخفاض، وتزكية وإهمال، قال تعالى: (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)(١).

والقرآن الكريم بين أحوال النفوس فى ثلاث آيات من سور القران الكريم:

١- النفس الأمارة قال تعالى على لسان امرأة العزيز فى سورة يوسف: (وما أبرى نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم)(٢).

٢- النفس اللوامة قال تعالى فى مطلع سورة القيامة وفى موطن القسم: (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة)(٣).

٣- النفس المطمئنة قال تعالى فى سورة الفجر عن النهاية السعيدة لتلك النفس: (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى)(٤).

فلا شك أنها نفس واحدة لكنها تعتريها ثلاثة أحوال، حسب موقف الإنسان من مجاهدته لنفسه، أو إهماله لها.

---

(١) سورة الشمس الآيتان (٩-١٠).
(٢) سورة يوسف الآية (٥٣).
(٣) سورة القيامة الآيتان (١-٢).
(٤) سورة الفجر الآية (٢٧-٣٠).

وإذا كان الناس درجات فى الحياة الاجتماعية من الغنى والتوسط والفقر، وكذا فى الفهوم والعقول والوظائف والأعمال، قال تعالى: (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات)(١).

وهذا أيضاً ينسحب على ميدان الإصلاح والعمل للدين، قال تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير)(٢).

ومن هذا المنطلق فنفوس الناس فى طبائعها ليست على درجة واحدة، ففيها النفس الأمارة، وفيها اللوامة، وفيها المطمئنة. فما هى النفس الأمارة حتى نحذرها ونفر منها إلى غيرها النفس الامارة هى التى تأمر صاحبها بالسوء والمعصية، فهى أمارة أى فعالة كثيرة الامر لصاحبها بالمعصية، وهى نفس مريضة تبلد إحساس صاحبها فلا يحس بشؤم المعصية وخطورة الذنب، ويقودها الشيطان إلى حتفها وهلاكها. وعلاج هذه النفس الامارة والارتقاء بها إلى اللوامة ثم إلى المطمئنة فىعدة أدوية مستفادة من القرآن والسنة أجلها فيما يأتى:

(١) تجديد التوبة النصوح فى كل يوم وليلة.

(٢) مداومة الذكر والاستغفار أناء الليل وأطراف النهار

(٣) فعل الحسنات والمداومة على العمل الصالح.

(٤) مصاحبة الاخيار والصالحين.

---

(١) سورة الزخرف الآية (٣٢).

(٢) سورة فاطر الآية (٣٢).

وكل لون من هذه الأدوية السابقة، يحتاج إلى شرح وتفصيل، لمعرفة أهمية وبيان أثره على النفس فى الإصلاح، وأثره على المجتمع فى العقيدة، وهذا لايتسع المقام هنا لتفصيله وبيانه، وسوف أفصل الحديث عنه فى درس قادم إن شاء الله تعالى، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

.....

ثالثا - المحاضرة

تعريف المحاضرة فى اللغة: هى ما يحضر الانسان من حديث يخاطب به الآخرين، وفى المعجم الوسيط: (يقال حاضر القوم: أى جالسهم وحادثهم بما يحضره، ومنه قولهم: فلان حسن المحاضرة)(١).

وهى فى الاصطلاح عبارة عن: خطاب موجه إلى العقل، يتلقاه سامعون، ذوو فكر وثقافة معينة، له عناصر وتفاصيل، مدعومة بالأدلة والبراهين.

يقول الشيخ عبد البديع صقر: (المحاضرة هى معلومات مرتبة تعالج موضوعاً معيناً -ولها طابع علمى خاص لا يحتاج للانفعال ولا للتحمس- وقد يلقيها كاتبها أو تلقى نيابة عنه)(٢).

فالمحاضرة يغلب عليها -كوسيلة دعوية- الجانب العلمى المقنع، إلا أنها تحمل موضوعات واقعية عليها الحياة التى يعيشها المدعوون (ومعنى هذا أن الداعية يختار موضوعه مما يعرض له من قضايا الحياة عليه)(٣).

وفائدة هذه الواقعية معالجة واقع الناس على الطريقة القرآنية، حيث نزل القرآن حسب وقائع الحياة فى العصر الأول، لانه منهاج عملى، وشأن هذه الواقعية أن تجعل الموضوع مقبولاً مرغباً، قريباً من قلوب الناس ومشاعرهم.

والمحاضرة كوسيلة قولية تتميز عن سائر فنون القول بالآتى:

---

(١) المعجم الوسيط صـ٢٠٢.

(٢) كيف تدعو الناس/ عبد البديع صقر صـ٥٢.

(٣) تذكرة الدعاة/ للشيخ البهى الخولى صـ٢٧٦.

١- السماح بالمناقشة والإجابة على أسئلة الحضور، وهذا يتطلب من الداعية الحاضر سعة الصدر والحلم،والقدرة على قبول الآخر، مع سرعة البديهة، والثقة فى النفس.

٢- التوثيق لانها عرض لبحث أعده الداعية حول قضية من قضايا الناس، وأراد أن يستوفيها حقها ليقنع الناس، ولا شك أن هذا لابد فيه من توثيق النصوص، والرجوع إلى المراجع ليطمئن الجمهور، الذى هو فى هذا المقام أكثر استنارة من جماهير وسائل القول الأخرى.

٣- ومن وسائل التوثيق نسبة القول إلى قائله، وتصحيح الأحاديث، أو نقل ما صح من السنة بعيداً عما ضعف أو كان موضوعاً.

٤- السير فى المحاضرة وفق عناصر ونقاط سيراً نحو هدف بعينه، يقصده الداعية، وهذا من شأنه ألا يغلب عليها الإنشاء او المحسنات اللفظية، أو ما يشبه ذلك.

٥- تتميز المحاضرة كذلك بإمكانية استخدام الوسائل التعليمية الحسية للعرض والتعريف؛ لإيضاح الغوامض، وإبراز المعنويات فى صورة المحسوسات. وفى مقام المحاضرة ينصح الأستاذ البهى الخولى بالآتى:

(أن يكون الموضوع مدروساً دراسة وافية مستفيضة، محللاً إلى عناصر بارزة، وخطوات مرتبة ترتيباً طبيعياً، ينتقل بالسامع من حلقة إلى حلقة، ،يفضى فى النهاية إلى خاتمة يحسن السكوت عليها.

استحضار ما يؤكد كل عنصر من كتاب الله وسيرة رسوله ﷺ أو سيرة اصحابه، أو عبر التاريخ، او مما يسمعه الداعية أو يقرأه ويشاهده.

البعد عن التقسيمات الفلسفية أو التعمق النظرى، مع مراعاة الجانب العلمى، بشرط ألا يكون الداعية غامضاً، وألا يكون نظرياً.

بيان ما يجنيه الناس من خير وفضل فى الدنيا والآخرة، لا فى الآخرة فقط.

أن يكون غرض الداعية إحياء المشاعر الإلهية، وبث خواطر الخير والتقوى فى القلوب، إذ كل موضوع ينبغى أن يعالج على هذا الأساس.

أن يحدث الداعى الحاضر تعارفاً عاطفياً بينه وبين جمهوره قبل أن يبدأ فى حديث محاضرته، فإن المشاعر بيوت مغلقة، وقد نهانا القرآن عن أن ندخل بيوتاً غير بيوتنا، حتى نستأنس ونسلم على أهلها.

وأخيراً وهذا خاص بالداعية ذاته – وهو أنه لا حرج أن يلقى الداعية نفس الموضوع فى أكثر من محفل، فإن هذا يكسبه قدرة على التوضيح أكبر، وينضج الموضوع فى عقله وقلبه)(١).

هذه نبذة موجزة حول المحاضرة، ولا شك أن الواقع يؤكد على أهميتها فى المجال الدعوى، حيث أقبلت عليها الجماهير، واستفاد منها جمهور المسلمين، مما يحدوا بالداعية أن يتقن هذا الفن، من أجل إنجاح الدعوة وانتشارها، بين العامة والخاصة.

*****

(١) انظر تذكرة الدعاة ٢٧٦-٢٨٢.

نموذج لمحاضرة تحت عنوان

(الاختلاف أسبابه وعلاجه)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد... فهذه محاضرة حول: (أدب الاختلاف فى الإسلام) وهى لا تستقصى كل ما يتعلق بالموضوع من جزيئات وتشعبات ، ومسائل وفروع، وإنما هى لمحات قصيرة، حاولت من خلالها أن أصل إلى الهدف المنشود وهو الوقوف على بعض الضوابط والآداب، عندما ينشأ الخلاف، ويحتد النزاع، فى مسألة من مسائل العلم والفقه، خاصة بين من يعملون فى مجال الدعوة إلى الله تعالى، تعليماً وتبليغاً، ونصحاً وإرشاداً، وبين من يتصدون للفتوى فى المسائل الخلافية التى فيها أكثر من رأى، وعليها أكثر من دليل معارض.

وفى البداية أود أن أشير على أنه ليس هناك دين فى الوجود يحرص كل الحرص على أن يكون أبناؤه متوحدين مترابطين مثل الإسلام، فقد دعا الإسلام إلى الاتحاد لأنه يقوى الضعفاء، ويزيد الأقوياء قوة على قوتهم، قال تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا}(١).

وقال ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا"(٢). فالاتحاد يعصم الأمة من التفرق والتشاحن والهلاك، ويحفظ

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٣).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخارى (٢٣١٤).

الطاقات، ويرهب الأعداء، و قد قال ﷺ: :(الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد"(١).

ووحدة الأمة الإسلامية وجمع كلمتها، ولم شعثها، أمر واجب على المسلمين جميعاً، ولن تكون الوحدة إلا بتوحد الامة فى مصادر تشريعها المتفق عليها (القرآن والسنة والإجماع) وتوحدها فى أصول الإسلام وأركانه وعباداته وأخلاقه، وهى الأصول التى اتفق عليها علماء الأمة ولا يعذر بالجهل بها.

أما الاختلاف فى المسائل الفرعية مثلاً لا سيما التى تتعلق بالمباح والمستحب والمكروه، وتتعدد فيها النصوص والادلة، أو أن يكون الدليل فيها ظنياً فى دلالته على الحكم، فليس ذلك مشكلة إنما المشكلة أن يغيب أدب الخلاف وضوابطه بين المسلمين الذى اختلفوا فى قضية من القضايا ، وأن تضيق صدورهم بأراء الآخرين واجتهاداتهم ، وأن يؤثر ذلك على علاقة الود والرحمة التى تجمع بين المسلمين جميعا وقد قال تعالى فى وصف اصحاب رسولنا ﷺ (رحماء بينهم)(٢). رغم أنهم اختلفوا فى كثير من القضايا وما منعهم ذلك من الرحمة والود ، والحب والصفاء ، وسلامة الصدر والإيثار.

الاختلاف سنة إلاهية:

الاختلاف سنة من سنن الله تعالى فى الكون والمجتمع فهو -سبحانه وتعالى- لم يخلق البشر جميعاً على شكل واحد، أو لون واحد، أو لسان واحد، أو طبع واحد، أو فهم واحد، قال تعالى: {ومن آياته

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الحاكم فى المستدرك ١٩٧/١.

(٢) سورة الفتح الاية (٢٩).

خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين}(١).

فالناس بطبيعتهم فى الخلقة مختلفون فى العلم والفهم، والخلق والتجارب، والمصلحة والمزاج، فإذا أردت أن توحدهم فى كل شئ وأن تصنع منهم نسخة مكررة، وهذا مستحيل. فلابد أن توحدهم فى هذه الأمور السابقة قال تعالى: {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ولذلك خلقهم}(٢).

ولو انتقلنا من الآيات الإنسانية إلى الآيات الكونية لوجدنا أن الاختلاف فى الكون أمر طبيعى ، بل إنه مظهر من مظاهر الجمال، حينما تتعدد الألوان، وتتباين الأشكال، فيكون الجمال بعينه قال تعالى: {إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب}(٣).

وقال تعالى: {ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور}(٤).

وإذا كان الاختلاف طبيعة فى البشر والكون ، فلماذا لا نتعلم فن الاختلاف، ولماذا لا نتعلم كيف نتفاهم؟ وكيف نستقبل الآراء المخالفة بسعة صدر، وسلامة قلب، وهدوء نفس؟ ونبقى بعد ذلك إخوة متحابين.

---

(١) سورة الروم الآية (٢٢).
(٢) سورة هود الآيتان (١١٨، ١١٩).
(٣) سورة آل عمران الآية (١٩٠).
(٤) سورة فاطر الآيتان (٢٦ -٢٧).

فلقد اختلف الصحابة فى عصر النبى ﷺ فى أرائهم تجاه بعض القضايا الهامة، واختلفوا بعد عصر النبوة أيضاً، ومع ذلك ما منعهم هذا الاختلاف من الاعتراف بمكانة الرجال وإنصافهم من أنفسهم، وإنزالهم مكانتهم وإعطائهم حقوقهم، وشهد القرآن الكريم لهم جميعاً بأنهم من أهل الجنة {وكلاً وعد الله الحسنى} (١).

فليكن شعارنا التعارف والتآلف، لا التباغض والتخالف، فالهدف من رسالة الإسلام أن يتعارف الناس فيما بينهم وإن اختلفوا فى بعض الأمور قال تعالى: {وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم} (٢).

الموقف الصعب:

والذى يبقى هكذا صعباً إلى قيام الساعة هو استحالة جمع المسلمين جميعاً على رأى واحد فى كل مسائل العلم الفرعية، وذلك لأن الصحابة تفرقوا فى الأمصار، وافتى كل منهم برأى، وانتشرت المذاهب الإسلامية فى طول البلاد وعرضها، وكل مذهب فيه من المسائل التى قامت على اجتهاد، واختلفت فيها الأراء.

وهناك من آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ما هو ظنى الدلالة تختلف العقول فى تحديد المراد فقامت على الاجتهاد فاختلفت حولها الأراء، وهناك من المسائل ما قام الحكم فيها على دليل ضعيف بأن يكون الحديث ضعيفاً أو موضوعاً أو لم يصله الحديث الصحيح ووصل إلى غيره، فاختلف الحكم.

---

(١) سورة الحديد الآية (١٠).

(٢) سورة الحجرات الآية (١٣).

لهذا كله ولغيره يصعب جمع الناس على رأى واحد فى كل مسائل العلم الفرعية، وهذا إمام المدينة المنورة الإمام مالك حينما كتب الموطأ طلب منه الخليفة أن ينسخه ويورعه على الأمصار ليجمع المسلمين على ما فيه من أحكام فقهية فرفض الإمام مالك وقال: "إن الصحابة تفرقوا فى البلاد وأفتى كل واحد منهم برأى، ولو جمعت الناس على رأى واحد لكان فتنة لهم"(١).

وقال: "إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا فى رأيى فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"(٢).

وقال الإمام أبو حنيفة: " رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب"(٣).

فهو لا يحتكر الصواب لنفسه وإنما يفتح الباب أمام آراء الآخرين والاقوال المأثورة عن الأئمة الأعلام فى الفقه والحديث كثيرة كلها تبين أن كل واحد منهم ما تعصب لرأيه وادعى له العصمة، أو سفه رأى غيره ونال منه وإنما قال الإمام مالك رحمه الله وهو واقف أمام قبر النبى ﷺ: "كل يؤخذ منه ويرد إلا صاحب هذا القبر يقصد خاتم النبيين ﷺ "(٤).

ومن ذا الذى ما ساء قط ∴ ومن له الحسن فقط

سوى طه النبى الذى ∴ عليه جبريل الأمين هبط

---

(١) قواعد التحديث للقاسمى صـ٢٥٢.

(٢) قواعد التحديث للقاسمى صـ٢٥٢.

(٣) الاحكام لابن حزم ٦/٢٤٤.

(٤) كشف الخفاء للعجلونى ٢/١٥٥.

فالكمال لله وحده، والعصمة لرسل الله صلوات الله عليهم أجمعين والنقص من صفات البشر، والعفو من شيم الرجال، والتراحم من صفات المؤمنين الصادقين.

أسباب الاختلاف:

الأسباب الخلقية: هناك عدة أسباب كثيرة ومتنوعة تقف خلف الاختلاف بين الناس منها ما هو خلقي ومنها ما هو فكري(١).

ويمكن الإشارة إلى الأسباب الخلقية إجمالاً فيما يأتي:

١- **الجهل:** فالناس أحباب لما ألفوا أعداء لما جهلوا، فلجهل بعض الناس بحكم ما يجعلهم يرفضونه دون الوقوف على دليله أو صحته.

٢- **التقاليد الموروثة:** فبعض العقول ترفض الحق لتقيدها بمواريث الآباء والأجداد السابقين قال تعالى: {وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون}(٢).

٣- **الجحود والحسد:** إن بعض الناس يرفضون الحق الصريح بسبب الكبر الداخلي والحسد القلبي الذي يأكل قلبه، قال

---

(١) انظر الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم د/ يوسف القرضاوي صـ١٥-١٦ ط دار الوفاء الرابعة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م. وانظر من أجل حوار لا يفسد للود قضية د/ محمود محمد عمارة صـ٩-١٠ ط/ مكتبة الإيمان بالمنصورة الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٠م.

(٢) سورة البقرة الآية (١٧٠).

تعالى: {فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون}(١). وقال تعالى: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً}(٢).

٤- **التعصب للرأى ولأقوال الأشخاص والمذاهب:** فيجعله لا يرى إلا رأيه ورأى مشايخه ومذهبه ويرفض ما عدا ذلك دون حوار أو مناقشة، وحبك الشيء يعمي ويصم.

٥- **حب الزعامة أو الصدارة أو المنصب:** هذه الشهوات إذا تغلبت على إنسان جعلته يرفض آراء الآخرين حفاظاً على مكانته أو على منصبه، ولو أنه كان خارج هذه القيود لكان له رأى آخر، وكيف للمقيد أن يتصرف تصرف الاحرار.

٦- **سوء الظن بالآخرين أو التصور المسبق:** فحينما يكون هناك تصور مسبق على شخص ما، مبنياً على سوء الظن فمن ثم يرفض الطرف الآخر كل ما يصدر عنه، حتى ولو كان الحق المبين، القائم على الأدلة الصحيحة الموثقة، التى تقود الباحث المنصف إلى الإذعان.

وأما أبرز الأسباب الفكرية فيمكن حصرها فيما يأتى:

١- الاختلاف فى وجهات النظر فى فروع الشريعة بسبب توافر المعلومات عند البعض وغيابها عند البعض الآخر، وتفاوت العقول فى فهم النص حسب تعدد المشارب والمدارس واختلاف البيئات والأعراف ونماذج هذا الاختلاف كثيرة فى كتب الفقه المقارن فى أبواب الطهارة والصلاة والصيام والزكاة والحج والمعاملات.

---

(١) سورة الأنعام الآية (٣٣).

(٢) سورة النمل الآية (١٤).